معابر الحضارة الاسلامية الى غرب اوربا
فى العصور الوسطـــى

دكتور
محمود محمد الحويـــــرى
استاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى ـ جامعة اسيوط

يحسن بنا أن نبدأ بالتعريف بالمصطلح المستخدم فى عنوان هذه المقالة ، وأعنى به الحضارة الاسلامية . فكثيرا ما جرى ويجرى نقاش بين الباحثين حول تسمية هذه الحضارة ، اذ أطلق البعض منهم عليها " الحضارة الاسلامية " ، فى حين سماها البعض الآخر " الحضارة العربية " . وقد حدث ذلك بين الباحثين الذين كتبوا فيها باللغة العربية ، مثلما حدث بين من تناولها بلغات أوربية . والملاحظ أن كثرة من الباحثين يميلون الى تسمية هذه الحضارة بالحضارة العربية ، كما فعل يوسف هل ، وجاك ريسلر ، وجوستاف لوبون الذى أصر على هذا الاسم ، وجعل عنوان كتابه المعروف " حضارة العرب " وكما فعلت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة التى سمت كتابها فى نفس الموضوع " شمس العرب تسطع على الغرب : أثر الحضارة العربية فى أوربا " . لقد وصفت هونكة دور العرب الحضارى فى كتابها ، فقالت فى مقدمته : " ان هذا الكتاب يتناول " العرب " و " الحضارة العربية " ولا أقول " الحضارة الاسلامية " ، ذلك أن كثيرا من المسيحيين واليهود والمزديين والصابئة قد حملواهم مشاعلها أيضا ... بل أضف الى ذلك أن كثيرا من صفات هذا العالم الروحى الخاصة كان موجودا فى صفات العرب قبل الاسلام . هذا الكتاب يتحدث عن " العرب " و " الحضارة العربية " بالرغم من أن كثيرا من بناتها كانوا لا ينتمون الى الشعب الذى عرفه المؤرخ القديم (هيرودوت) باسم (عربيو Arabioi) بل كان منهم أيضا فرس وهنود وسريان ومصريون وبربر وقوط غربيون ساهموا جميعا فى رسم معالم تلك الحضارة ، بدليل أن كل الشعوب التى حكمها العرب اتحدت بفضل اللغة العربية والدين الاسلامى ، وذابت بتأثير قوة الشخصية العربية من ناحية ، وتأثير الروح العربى الفذ من ناحية أخرى ، فى وحدة ثقافية ذات تماسك عظيم " (١)

---

(١) زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون ،

ومع ايماننا العميق بدور العرب واللغة العربية فى تاريخ البشرية وحضارتها ، فمن الثابت أن دور العرب السياسى فى الدولة الاسلامية لم يلبث أن تنافسهم فيه أجناس أخرى ، بعد أن تمزقت تلك الدولة الى دويلات صغيرة مستقلة فى العصر العباسى الثانى ، مثل الدولة الزيادية (٩٢٨ ـ ١٠٤٧) ، والدولة الحمدانية (٩٢٩ ـ ١٠٠٣) ، والدولة السامانية (٩٧١ ـ ٩٩٨) ، والدولة البويهية (٩٣٢ ـ ١٠٥٥) ، والدولة الغزنوية (٩٦٢ ـ ١١٨٦) واذا كانت تلك الدويلات قد أضرت بوحدة العالم الاسلامى ، إلا أنها فى الوقت نفسه قد قامت بدور فعال فى نشر الاسلام فيما وراء الحدود الاسلامية فى آسيا وافريقية وأوربا ، فضلا عن أن تنافسها فيما بينها قد ساعد على ازدهار الحضارة الاسلامية فى تلك الجهات ، وظهور مراكز حضارية فيها كانت قبلة أنظار العلماء والتجار مثل بخارى وسمرقند والفسطاط وقرطبة وفاس وغيرها . ولذلك لا يمكن أن نصف هذه الحضارة بأنها حضارة عربية ، وانما جوهر تلك الحضارة مصدر آخر هو الاسلام بتعاليمه السامية . ولذلك فالقول بأنها حضارة اسلامية ، كما فعل آدم ميتز ، وجوستاف فون جرونباوم ، وجب وغيرهم هو الأرجح ، باعتبار أنه قد ساهم فى بنائها مسلمون من غير العرب كالفرس والأتراك وغيرهم .

والجدير بالذكر أن العرب عندما اندفعوا ـ لأول مرة فى تاريخهم ـ خارج حدود شبه جزيرتهم ، وفتحوا أغلب بقاع العالم المتحضر القديم فى أقل من مائة عام ، لم يكن لديهم عندئذ تراث حضارى ينافسون به الشعوب الأخرى ذات الحضارات القديمة ، ولكنهم ـ وهذا هو المهم ـ كانوا يملكون القدرة على الاستفادة من الأوجه النافعة المشرقة فى الحضارات التى اتصلوا بها ، فأخذوا عنها ، وبعد أن أضافوا الكثير اليها ، وهبوا العالم حضارة جديدة مبدعة ،

ملائمة لتقاليدهم الاسلامية ، ومنسجمة مع أفكارهم ، لا تجمعها العصبية ولا القبلية ولا العنصرية ولا اللون . ويجدر بنا القول هنا أن الحضارة الاسلامية لا يقلل من أهميتها أنها أفادت من الحضارات السابقة لها ، لأن الحضارة الانسانية وديعة البشر جميعا ، وثمرة جهد انساني عام ، وعلى مدى تاريخها الطويل تبادلت الأخذ والعطاء ، والتأثير والتأثر . والحضارة التي نبتت جذورها من فراغ وعدم لم تولد بعد . وأبلغ دليل على ذلك أن الحضارة اليونانية اقتبست من الحضارات الشرقية القديمة ، ثم جاء الرومان على نهاية العالم القديم فأخذوا من حضارة الاغريق ، ثم جاءت الفتوحات الاسلامية ، فكان لا بد من اتصال العرب بالحضارات المعروفة المجاورة والسابقة ، وطبعها بطابع الاسلام ، وما نتج عن ذلك من قيام الحضارة الاسلامية ، التي أسلمها المسلمون بدورهم - كما سنرى - وديعة في أيدي أوربا العصور الوسطى ، فكانت الدافع الأساسي لبناء نهضتها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر .

ومن الأمور التي اجتذبت انتباه الباحثين الأوربيين ، أن الدين الاسلامي واللغة العربية - وهما دعامتا الحضارة الاسلامية - انتشرتا بسرعة وسهولة في الأقطار التي فتحها العرب ، على اختلاف ميولها وصفاتها المميزة . ولا ريب أن انتشار الاسلام انتشارا آمنا في مساحة واسعة من العالم امتدت من حدود الصين الى المحيط الاطلسي ، وبين كثير من الشعوب التي كان بعضها على الديانة المسيحية ، لخير دليل على سياسة التسامح التي انتهجها العرب إبان فتوحاتهم ، فلم يفرضوا على الشعوب دينهم ، ولم ينظروا اليهم الا بعين العدل والمساواة . أما اللغة العربية وهي أثمن أداة حضارية حملها العرب الى غيرهم من الشعوب ، فقد أقبلت تلك الشعوب على تعلمها ، حتى أنها صارت

أداة التخاطب والتعامل الوحيدة بين أبناء العالم العربى إلى اليوم . ومما يثير الاعجاب بهذه اللغة أن كثيرا من الشعوب المسلمة التى احتفظت بلغتها القديمة ، استخدمت الحروف العربية كوسيلة للتعبير عن آدابها وعلومها ، كما هو الحال فى اللغة الفارسية واللغة الأوردية ، بل واللغة التركية حتى الفترة التى انتهت بالاطاحة بالخلافة العثمانية .

وهنا نلاحظ أن الحضارة الاسلامية مرت فى دور التكوين بمرحلتين أساسيتين :

المرحلة الأولى : قامت على حركة الترجمة وتجميع نتاج الحضارات السابقة والمجاورة ، وفى هذه المرحلة لم يأل الخلفاء والأمراء جهدا فى الترجمة ، وأنفقوا على ذلك بسخاء ، جعل المترجمين يتقاطرون من أنحاء العالم الاسلامى ، وفيهم النساطرة واليعاقبة واليهود والصابئة والمجوس ، يترجمون عن اليونانية والفارسية والسريانية والسنسكريتية والقبطية واللاتينية وغيرها .

المرحلة الثانية : وهى التى تبدأ بالقرن التاسع الميلادى (الثالث الهجرى)، وفى خلالها استوعبت الحضارة الاسلامية جميع الحضارات السابقة لها ، وأضافت اليها الشىء الكثير من إبداعها ، حتى اذا أشرف هذا القرن على نهايته صارت اللغة العربية هى لغة العلوم والآداب ، وكل ما يمت الى الجهود الحضارية العظيمة من نتاج المسلمين . وفى هذه الفترة المزدهرة من تاريخ الحضارة الاسلامية وما تلاها ، ظهر أعظم مفكرى وعلماء المسلمين .

وبينما كان المسلمون يقيمون حضارتهم الشامخة ، ويسيرون بالبشرية فى طريق التقدم والعمران ، ويضربون أعظم الأمثلة على حرية الفكر ، كانت أوربا عقب سقوط الامبراطورية الرومانية فى الغرب الأوربى فى أواخر القرن الخامس الميلادى (٤٧٦)

على أيدى الجرمان والبرابرة قد دخلت فى دور جديد من أدوار تاريخها . اذ تصدعت الحضارة الرومانية تحت أقدام هؤلاء الغزاة ، إلا من وضة حضارية أوجدها شارلمان فى القرن التاسع ، لم تلبث أن خبت بعد وفاته سنة ٨١٤ ، وانحطت الحياة الفكرية بصورة تدعو للرثاء ، وانطفأت مراكز المعرفة والتعليم ، وازداد نفوذ الكنيسة كقوة سياسية أثرت على مصير غرب أوربا . وقد أطلق المؤرخون الأوربيون على الفترة الواقعة بين سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية والقرن الحادى عشر بالعصور المظلمة .

على أن الأوضاع أخذت تتغير فى أوربا العصور الوسطى فى القرن الثانى عشر الذى شهد تطورا حضاريا فى النواحى السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية . وكان أن استيقظت أوربا من سبات تلك الفترة المظلمة التى عمت أرجاءها ، وتفتحت عيونها على حضارة إسلامية زاهرة ، دفعت بطلاب العلم والمعرفة من مختلف أنحاء الغرب الأوربى للتسابق نحو مراكز إشعاع هذه الحضارة للأخذ عن علوم المسلمين وترجمتها ودراستها والافادة منها ، الأمر الذى ترتب عليه قيام نهضة حضارية أطلق عليها " النهضة الأوربية فى القرن الثانى عشر " . ووجه الأهمية هنا أن الأوربيين إبان اتصالهم بالمراكز الثقافية الاسلامية وتعرفهم على جوانب الحضارة الاسلامية ركزوا على العناية بالعلوم التجريبية التى أبدعتها هذه الحضارة ، مثل الطب والفلك والهندسة والصيدلة والكيمياء لحاجتهم الى تلك العلوم . أما منهج الاسلام فى شئون السياسة والحكم والتربية والتعليم ، فقد رفضه الغرب الأوربى ، وأغلق عقله تماما دونه . وبعبارة أخرى يمكن القول أن الأوربيين لم يأخذوا من النموذج الحضارى الاسلامى الا العلم التجريبى والتقنية بمفهوم

العصر الحاضر ، فى حين أغفلوا القيم السامية التى تقدم تصورا راقيا لحيـــــاة وخير البشـــرية .

أما كيف انتقلت الحضارة الاســلامية الى الغرب الأوربى فى العصـــــور الوسطى ، حيث واصلت عطاءها الى أن تم بناء الحضارة الأوربية الحديثـــة ، فالواقع أن ثمة طرقا أو معابر أو قنوات سلكتها أهمها ثلاث ، نرى من الأوفـــق أن نرتبها تصاعديا حسب أهميتهـــا ، وهـــى :

(١) الشرق الأدنى خلال الحروب الصليبيـة .

(٢) صقلية وجنوب ايطاليـا .

(٣) أســـبانيا .

ونود قبل أن نلقى الضوء على تلك المعابر الاشارة إلى أن هذه الدراســـة الموجزة لا تتصدى لمظاهر الحضارة الاسلامية المختلفة تفصيليا ، فان حـــديث ذلك يطول ويطول ، جدير بالمتخصصين كل فى ميدانه .

الشـرق الأدنى خلال الحروب الصليبيـة :

شهد الشرق الأدنى فى أواخر القرن الحادى عشر أضخم حركة استعماريـــة شرسة لم يشهد لها مثيلا من قبل ، اتخذت من الدين ستارا لاخفاء مطامعهـــا ، وتتمثل هذه الحركة فيما هو معروف فى التاريخ بالحروب الصليبية . ويمكننـــا أن نقسم تلك الحروب التى اتخذت من بلاد الشام مسرحا لأحداثها إلى ثلاث أدوار : يتمثل الأول منها فى انتصار الصليبيين على المسلمين الذين كانوا منقسمين علـــى

أنفسهم ، ويتمثل الدور الثانى فى التوازن بين المسلمين والصليبيين فى الأراضى المقدسة ، بعد أن جمع المسلمون صفوفهم ، ويتمثل الدور الثالث فى انتصارات المسلمين الحاسمة على الصليبيين ، وطردهم نهائيا من بلاد الشام .

ومن الطبيعى أن الحروب الصليبية التى شهدتها بلاد الشام طيلة مائتى عام كانت ميدانا لعلاقات وثيقة بين المسلمين والصليبيين ، ساهم فى انتقال بعض التأثيرات الحضارية الاسلامية الى غرب أوربا (١) . أما ما ذهب اليه بعض مؤرخى القرن التاسع عشر من أن بلاد الشام زمن الحروب الصليبية كانت أبرز طريق انتقلت عليه الحضارة الاسلامية إلى الغرب الأوربى ، وأنها أسهمت بنصيب وافر فى تغيير الحياة العلمية والثقافية التى حدثت فى أوربا آنذاك ، هو فى الحقيقة أبعد ما يكون عن الصحة ، وفى هذا الصدد قامت بلاد الشام بدور أدنى بكثير من الدور الذى قامت به صقلية (٢) . ذلك أن الصليبيين لم يقصدوا بلاد الشام طلبا للمعرفة ، وانما كانوا غزاة اتصفت حياتهم الجديدة بما يتصف به الجنود عادة من خشونة ، وتوجيه اهتمامهم الى الدفاع عن كيانهم وسط بحر واسع من المسلمين .

---

(١) ريسلر : الحضارة العربية ، ترجمة فخيم عبدون ، مراجعة د . أحمد فؤاد الأهوانى ، ص ١٩٠ .

(2) Gabrieli, The Transmission of Learning and Literary Influences to Western Europe, in the Cambridge Hist. of Islam, Vol. 2B, p. 825.

ولهذا لم تتهيأ للصليبيين حياة الاستقرار اللازمة لمباشرة النشاط الحضارى ، بنفس القدر الذى أتيح للأوربيين فى أسبانيا المسلمة ، أهم ميدان اتصلت فيه الحضارة الاسلامية بأوربا .

ووسط القلاقل التى عاشتها بلاد الشام خلال الحروب الصليبية ، كان من الصعب قيام تبادل فكرى بين المسلمين والصليبيين . إذ أن التبادل الفكرى بين فريقين لا بد وأن يسبقه معرفة كل منهما بلغة الآخر ، حتى يتسنى له الاطلاع على حصيلته الحضارية . واذا حاولنا أن نطبق تلك القاعدة على بلاد الشام آنذاك ، وقف الحاجز اللغوى دون ذلك . ومع ذلك ألزمت مطالب الحياة السياسية والاجتماعية بعض كبار الصليبيين أن يتعلموا اللغة العربية ، ويلموا بها إلماما تاما ، حتى يسهل عليهم التعامل مع المسلمين ، والتفاوض معهم فى ميادين السلم والحرب (١) . ولم يحاول المسلمون من ناحيتهم معرفة لغة الصليبيين ، حتى أن أسامة بن منقذ الذى خالط البعض منهم وصادقهم لم يكن يحسن غير لغته العربية ، وهو يقول عنهم فى كتابه الشهير المعروف باسم " الاعتبار " : "إنهم لا يتكلمون الا بالافرنجى ، ما ندرى ما يقولون " . (٢)

ويتأكد قصور اهتمامات الصليبيين الثقافية بالحقبة القائلة بأنه لم تنشأ فى

---

(١) محمود الحويرى : الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، ص ٢١٧ ـ ٢٢١ .

(٢) ص ٦٦ .

المستعمرات الصليبية ببلاد الشام مراكز للدراسة أو مراكز ثقافية أو مدرسة أو جامعة ، وذلك في عصر كانت كل المراكز الأوربية العظمى تزخر بالكليات والجامعات ، وكان الذي يرغب في الحصول على تعليم أرحب أفقا عليه بالتوجه الى أوربا ، على نحو ما فعل مؤرخ مملكة بيت المقدس الصليبية الوحيد وليم الصوري (١١٣٠ — ١١٩٣) ، الذي احتل مكانته بين أكبر مؤرخي العصور الوسطى (١). فقد ولد في مملكة بيت المقدس الصليبية ، وقضى بها سنوات طفولته وصباه المبكرة ، ثم بعث به أهله الى أوربا كي يواصل تعليمه العالي شأنه في ذلك شأن الكثير من الطلبة الحريصين على العلم آنذاك ، وهناك مكث ما يقرب من عشرين سنة متنقلا بين جامعتي باريس وبولونا ، تلقى العلم خلالها على أيدي أشهر الأساتذة ، ثم عاد إلى موطن صباه في حوالي سنة ١١٦٧ ، وشارك في أحداثه السياسية والدينية ، وعلى الرغم من أنه كان على دراية تامة باللغة العربية ، وألف كتابا عن الاسلام ، مستندا على المصادر العربية واليونانية ، فقد ظل التراث اللاتيني الغربي يمثل أكبر قوة فعالة في ثقافته وفكره ووجدانه (٢) .

على أن الأمر لا يخلو — كما ذكرنا من قبل — من أمثلة تدل على انتقال بعض الأفكار العلمية الى أوربا على أيدي بعض علماء الغرب الأوربي ، الذين زاروا بلاد الشام وعصر زمن الحروب الصليبية . فيقال أن ادلارد الباثي Adelerd of Bath ، وهو انجليزي أصله من باث في

---

(١) يوشع براور : عالم الصليبيين ، ترجمة وتقديم وتعقيب د . قاسم عبده قاسم ، د . محمد خليفة حسن ، ص ١٥٤ .

(2) Smail, The Crusaders in Syria and the Holy Land,

انجلترا ، درس علمى الفلك والهندسة على أيدى المسلمين ، وترجم الجداول الفلكية للمجريطى أثناء إقامته فى أسبانيا ، طاف بمصر والشام وآسيا الصغرى إبان النصف الأول من القرن الثانى عشر ، ومن المعروف أيضا أن ليوناردو فيبوناتشى Leonardo Fibonacci وهو أول عالم مسيحى فى الجبر ، قد ارتحل الى سوريا ومصر ، وأخذ فى دراسة اللغات الشرقية لارتباطها بالبعثات التبشيرية فى الشرق (١) . وكان ليوناردو معاصرا لفردريك الثانى (١١٩٨ ـ ١٢٥٠) ، واليه قدم بحثه فى الأعداد المربعة Square Numbers (٢) ، كما وضعها الخوارزمى تماما . وكذلك من الناحية اللغوية ، انسابت بعض الكلمات العربية فى اللغات الأوربية ، وان كانت هناك صعوبة فيلولوجية فى تحقيق نسبة استعارتها ، لأن بلاد الشام لم تكن وحدها المكان الذى التقى فيه الغرب الأوربى بالشرق العربى (٣) .

وثمة حقيقة ينبغى ألا تغيب عن بالنا ، هى أن الصليبيين الذين وفدوا من غرب أوربا على بلاد الشام فى ذلك العصر كانوا فى مستوى حضارى أحط بكثير مما كان عليه المسلمون بالشام من رقى حضارى فكرى ومادى ، الأمر الذى جعل الصليبيين هم الذين يحاولون التشبه بالمسلمين ومحاكاتهم (٤) . ولهذا

---

(١) ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ ،
(٢) نفس المرجع ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ . (٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ص ١٢٠٧
(٤) سعيد عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص ٥١ .

ترتب على طول اقامة الصليبيين بالشام ومجاورتهم للمسلمين اكتسابهم الكثير من الذوق الشرقى والأطعمة والأشربة . وثمة قصة يروبها أسامة بن منقذ نستشف منها التحول فى ذوق الصليبيين فى ناحية المأكل والمشرب ، وخلاصة تلك القصة أن أحد أصحابه ذهب الى مدينة أنطاكية الصليبية وقتذاك ، فنزل فى بيت أحد الفرسان الصليبيين الأوائل ضيفا عليه . ولما أحضر الضيف ، مائدة حسنة وطعاما فى غاية النظافة والجودة " ، امتنع صديق أسامة عن الأكل ، وعندئذ قال له الضيف : " كل طيب النفس ، فأنا ما اكل من طعام الافرنج ، ولى طباخات مصريات ما اكل الا من طبيخهن ، ولا يدخل دارى لحم خنزير »(١) .

ولما لم يكن الصليبيون بطبيعتهم بحاثة أو رجال فكر ، بل كانوا جنودا ظلوا دوما داخل حصونهم وقلاعهم فى حالة من اليقظة المستمرة ، فالواقع أن الدرس الذى استفادوه من المسلمين فى فن العمارة الحربية كان أبرز ما يكون وضوحا . فبعد أن عادوا الى أوطانهم فى الغرب الأوربى ظهر تأثير الخبرة التى اكتسبوها فى العمارة الحربية ، بدليل أن نماذج تلك العمارة التى عرفتها أوربا فى أواخر القرن الحادى عشر قد اختلفت عن النماذج التى شيدت فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر (٢) . من ذلك أنهم استخدموا " المشربيات " Machicolation ،

---

(١) الاعتبار ، ص ١٤٠ .

(2) Smail, op.cit., P.94.

وهى دعائم يتقارب بعضها من بعض وتحمل فوقها حواجز بارزة ، وبين كل دعامتين فتحة مقفوله بباب مستور يمكن أن تصوب منه السهام الى رؤوس المحاصرين الذين يحاولون أن يحفروا تحت الجدران ويضعوا تحتها اللغم ، كما يمكن منها أن يصب على رءوسهم الزيت أو الماء المغليان وغير ذلك ، وتبدو هذه الظاهرة واضحة فى قلعة شاتيون (١١٨٦) ونورويتش Norwich (١١٨٧) ووينشستر Winchester (١١٩٣) وشاتوجيار (١) Chateau Gaillard التى بدأ ريتشارد قلب الأسد فى بنائها ـ على ما يبدو ـ سنة ١١٩٦ ، وكانت أمنع التحصينات على نهر السين ، فقلعتها الداخلية محاطة بأسوار ذات أضلاع منحنيه ، كما أن أبراجها ، واختيار موقعها ، وتغطية الممرات المؤدية اليها بنيران الحامية ، كل ذلك يشير الى يد ماهرة فى البناء (٢) . وهناك طراز معمارى آخر أخذه الغرب الأوربى عن مصر وسوريا خلال الحروب الصليبية ، وهو جعل مدخل القلعة على شكل زاوية قائمة أو جعله ملتويا ، حتى لا يتمكن العدو الذى يصل الى باب القلعة من رؤية الفناء الداخلى ، أو تصويب سهامه إلى من فيه (٣) . وتعلم الصليبيون أيضا طرقا جديدة لتشييد الاستحكامات

---

(١) مارتن بريجز: تراث الاسلام ، جـ٢ ، ص ١٣٢ـ١٣٩ .

(2) Gillengham,Richard The Lionheard, pp.262-264.

(٣) مارتن بريجز : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١٣٩ـ١٤٠ .

الحربية معهم الى أوربا ، فالقلعة المستديرة أخذت تحل محل ما كان معروفا لديهم من قبل ، وهو البرج القديم والفناء الداخلي ، وما يجمعهما من سور واحد . وقد أخذ الصليبيون ما هو معروف عند المسلمين من أعمال تنقيب الأسوار ، واستعمال آلات الحصار القوية كالمنجنيق والأبواج والسلالم ، واستخدام النيران على هيئة قذائف (١) . يضاف الى ذلك أن الصليبيين أدخلوا الى أوربا حمام الزاجل (٢) ، حيث استخدموه في نقل البريد المنتظم وحمل الأخبار السرية .

وعلى عصر الحروب الصليبية ، انتقلت الى الغرب الأوربي من الشرق نباتات وثمار جديدة ، مثل السكر والذرة والليمون والبطيخ والقطن ، وسلع جديدة مثل الحرير الموصلي والدمقسي والمساحيق والمرايا الزجاجية والمسابح (٣) . كما ساعدت تلك الحروب على ازدياد النشاط التجاري واتساع حركته ، وفي هذا النشاط لعب التجار الايطاليون الدور الأكبر ، فنقلوا مختلف سلع الشرق الى الأسواق الأوربية ، ومن تلك السلع التي حازت اعجاب الأوربيين التحف الاسلامية النادرة ، فبدأوا يقلدونها (٤) ، ومع أن تقليدها لا يخلو من جودة ، الا أنها كانت لا تضارع النماذج الاسلامية الأصيلة من حيث الشكل ، ودقة الصنع ، وسلامة الزخرفة (٥) .

---

(١) ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٤٦-١٤٧ ،
Smail, op.cit., p.121.

(٢) هونكه: المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٣) ارنست باركر : المرجع السابق ، ص ١٥١-١٥٢ .

(٤) كريستي : تراث الاسلام : ج٢ ، ص ٩٤-٩٥ .

(٥) نفس المرجع ، ج٢ ، ص ٥٦ .

كذلك أسهمت الحروب الصليبية فى اتساع آفاق العقل الأوربى ، والخروج به من حدود معرفته الضيقة ودائرة الجهل التى أحاطت به خلال الفترة المظلمة التى اكتنفت أوربا العصور الوسطى ، إلى عالم رحب واسع . ذلك أن غرب أوربا — لزمن طويل — لم يعرف علم الجغرافية القائم على المشاهدة والتجربة ففى الوقت الذى كان فيه ارتياد المحيطات يبعث الخوف فى قلوب البحارة الأوربيين بسبب الأخطار الناجمة عنها من ناحية ، وعجزهم عن تحديد موقع السفينة فى مياهها من ناحية أخرى ، وعلى ذلك كانوا لا يجرأون على التوغل بعيدا عن مرمى الأرض فى أى محيط أو بحر ، فيما عدا البحر الأبيض المتوسط .(1) واستمر الوضع على ذلك الى أن صارت الأدوات الملاحية التى استخدمها الملاحون العرب معروفة فى غرب أوربا خلال زمن الحروب الصليبية ، فقد ظهرت البوصلة المائية فى غرب أوربا ابتداء من القرن الثانى عشر بعد أن كان الاسترشاد فى الملاحة قاصرا على النجم القطبى ، وجرى فى القرن التالى استخدام البوصلة الصندوقية ، ثم الاسطرلاب والربعية quadrant ، وهى أداة كان العرب يستعملونها فى الفلك والملاحة لقياس الارتفاع ، خاصة فى مياه المحيط الهندى الذى عرفه العرب قبل أن يبدأ البرتغاليون القيام برحلاتهم الاستكشافية التى تزعمها هنرى الملاح (١٣٩٤ ـ ١٤٦٠).(2) وهنا نلاحظ أن الحملات الصليبية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر تعتبر مقدمة لعصر الكشوف الجغرافية ، فضلا عن أنها كانت أول توسع مبكر قام به غرب أوربا فى العصور الوسطى ، فقد وضعت الغرب لأول مرة فى اتصال وثيق بأراض وشعوب

(1) Prestage, The Partuguse Pioneers, P.315.
(2) Ibid.

جديدة فى الشرق الأدنى ، الأمر الذى أدى الى معرفته معرفة وثيقة من ناحية ، وأوجد الرغبة فى التعرف على الشرق الأقصى من ناحية أخرى (١) .

ويمكن القول أن الحروب الصليبية ببلاد الشام قد أحدثت هزة عنيفة فى النظام الاقطاعى الغربى ، وهو النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى الذى أعطى المجتمع الأوربى الغربى طابعة فى ذلك العصر ، وساعدت على اضعافه ، ذلك أنه بقيام تلك الحروب التى باركتها الكنيسة ، وعدتها عملا يستوجب غفران الذنوب ، وجد فيها الأقنان فرصة سانحة للهروب من الالتزامات الاقطاعية ، لم يستطع السادة الاقطاعيون منعهم من المشاركة فيها (٢) .

وفى اعتقادنا أن أعظم ما قدمته الحروب الصليبية للغرب الأوربى ، هو إعطائه فكرة صحيحة عن الاسلام والمسلمين . فالمعروف أن الصليبيين بوجه عام خلال زحفهم على الشرق الأدنى ، كان الجهل الشديد والتعصب الدينى يسيطران على عقولهم . ومرد ذلك الى تزمت رجال الدين المسيحيين فى أوربا آنذاك ، بحيث صوروا المسلمين كفرة عباد أوثان ، ولقنوهم أن المسلمين يعبدون محمدا . بيد أن مائتى عام من اتصالهم اليومى مع المسلمين ببلاد الشام غيرت الصورة التى علقت بأذهانهم . اذ وجدوا فى المسلمين أصحاب ديانة سماوية وحدانية بعيدة عن الوثنية ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمعبود ، بل فى حقيقة الأمر من البشر ، واتضح لهم أن المسلمين يؤمنون بعيسى عليه السلام

---

(١) توسون : حضارة عصر النهضة ، ترجمه : د . عبد الرحمن زكى ، ص ٦-٧ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ص ١٢٠٩ - ١٢١٠ ، أضواء جديدة على الحروب الصليبية ، ص ١٠٥

كتبى ، ولمسوا فى الاسلام عقيدة سهلة وبسيطة ، مفعمة بالتسامح ، لا تعرف التعصب . (١) ولذلك لم يكن غريبا على المجتمع الغربى الأوربى وقتئذ أن تتغير مفاهيمه عن الاسلام والمسلمين ، وتتفتح أعينه على حقيقة أن ثمة شعوبًا مسلمة ذكية مثقفة ، تمتلك حضارة تفوق حضارة أوربا الاقطاعية .

وعلى أية حال ، كانت الحروب الصليبية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر مغامرة فاشلة بالنسبة لغرب أوربا فى العصور الوسطى ، كلفته الكثير من التضحيات فى الأرواح والأموال . ولكنها مع ذلك تركت أثرا فى تاريخ أوربا وتطورها الحضارى ، فتحته على آفاق جديدة ساهمت فى إحداث التغيرات التى خرجت به من عزلته . وأخيرا نختم حديثنا عن الحروب الصليبية كمعبر سلكته الحضارة الاسلامية الى غرب أوربا فى نهاية العصور الوسطى ، بالاشارة الى أنها لفتت أنظار المجتمع الأوربى إلى الشرق الاسلامى بصورة اختلفت عما كانت عليه من قبل .

صقلية وجنوب ايطاليا :

فتح الأغالبة جزيرة صقلية وأجزاء من جنوبى ايطاليا فى القرن التاسع الميلادى ، وظلت تابعة لهم فى أفريقية (تونس) حتى نجحت الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب ، وامتدت الى تونس فأسقطت دولة الأغالبة ، وبذلك صارت صقلية تابعة للفاطميين الذين أكدوا نفوذهم أيضا فى جنوبى ايطاليا .

---

(١) محمود الحويرى ، المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

وقد تدفق المسلمون على الجزيرة فى أعقاب الفتح ، وانتشروا فى أرجائهـــا ، وساروا فى سكانها الأصليين سيرتهم المألوفة مع سكان بقية الأقطار التى فتحوهـــا ، فلم يفرضوا عليهم دينهم ، وحافظوا على كنائسهم، ونشروا العدل والمســـاواة بينهم . وفى هذا الصدد أشاد المؤرخ الايطالى آمارى قائلا : „ وكـــان أهالى صقلية ينعمون بالراحة والأمن فى ظل أمراء المسلمين ، وكانت حالتهم أحسن بكثير من حالة إخوانهم الايطاليين الذين كانوا يرزحون تحت نير اللومبارديـــين والفرنجة „.(١)

والواقع أنه بقدوم المسلمين الى صقلية شهدت اهتماما بثرواتها ، وأدخلـــوا اليها كثيرا من أنواع النباتات والثمار ، مثل النخيل والبرتقال والقصب والقطـــن والفستق والموز ، وأوجدوا طرق الرى الصناعية فى الحقول ، ولا تزال إيطاليـــا إلى الآن تحتفظ بكلمتين عربيتين خاصتين بالرى وهمـــا Secchia ساقية ، Noria. نورج ، ويرجع الفضل للمسلمين فى أنهم لأول مـــرة فى أوربا أدخلوا صناعة الورق فى صقلية ، ومنها انتشرت هذه الصناعة فى ايطاليـا (٢) ، والى جانب ذلك حمل المسلمون معهم إلى الجزيرة أساليبهم الفنية فى العمـــارة ، مثل القناطر العالية الرائعة ، والفسيفســـاء المصنوعة من الرخام الملون ، والزخارف الجميلة ، وكانت مناجم الذهب والفضة والحديد والرخام والجرانيت مهملة فأحياهـا المسلمون ، وانتشرت فى عهدهم صناعة الحرير وصباغة المنسوجات ، وانتقلت عنهـم حتى بلغت أواسط أوربا . (٣) وتحتفظ مدينة نورمبرج برداء من الحرير كـــان يرتديه ملوك صقلية النورمان مطرزا بكتابات كوفية ، ويحمل تاريخ صنعه عـام ١١٣٣ م (٥٢٨ هـ) . وعلى أية حال ، صارت صقلية فى العصر الاسلامى قطـــرا

---

(١) رينالدى : المدينة العربية فى الغرب ، مجلة المقتطف ، المجلد ٥٩ عدد ديسمبر ١٩٢١ ص ٥٣٥
(٢) المرجع السابق ، المجلد ٦٠ ، عدد ... ١٩٢٢ ، ص ٣٤١

مزدهرا ، تزينه القصور والمساجد الرائعة ، ويعج بالشعراء والفلاسفة والأطباء وعلماء الرياضة والطبيعة . وقد زارها الرحالة الجغرافى ابن حوقل فى سنة ٩٧٢ م (٣٦٢ هـ) ، فوصفها وصفا حيا شائقا ، ودهش لكثرة المساجد فى مدينة بالرمو وحدها ، وفى ذلك يقول : " وبلرم (بالرمو) هى المدينة الكبيرة فى الجزيرة ، وعليها سور عظيم من حجارة شامخ منيع ، يسكنها التجار ، وفيها المسجد الجامع الأكبر ، وقد صلى فيه فى يوم جمعة قرابة سبعة آلاف مصل ... وتمتاز بلرم وضواحيها بكثرة المساجد ، ففيها نحو ثلثمائة مسجد ، وقد ترى عشرة مساجد فى أقل من رمية سهم "(١) .

ظل المسلمون يواصلون دورهم الحضارى فى صقلية وجنوب ايطاليا ، الى أن هبت ريح الفتنة بينهم حوالى سنة ١٠٤٠م (٤٣١ هـ) ، وكان أن استطاع النورمان بزعامة ملكهم روجر الأول Roger I (١٠٦١ ـ ١١٠١) أن ينتزعوا الجزيرة من أيديهم سنة ١٠٩١ (٤٨٣ هـ) بعد حروب طويلة . ولعل وجه الأهمية هنا أن النورمان سلكوا مع المسلمين مسلكا مخالفا لما فعله الصليبيون فى حوالى تلك الفترة الذين خاضوا بحرا من الدماء فى بيت المقدس ، اذ أبقوا عليهم وأحسنوا معاملتهم ، وليس هناك ما يدعو للغرابة فى ذلك ، فقد دفعهم اليه ـ وهم فى مستوى متدن من الحضارة ـ حاجتهم الى جهود المسلمين البناءة . والحق أن النورمان لم يتمالكوا أنفسهم أمام التراث الحضارى الضخم الذى تركه المسلمون فى صقلية ، فقلدوا المسلمين سادة الأمس فى عاداتهم وتقاليدهم .

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١١٣ـ١١٥ .

من ذلك أن روجر الثانى (١١٣٠ ـ ١١٥٤) كان يرتدى الملابس العربية الفضفاضة ، ويطرز رداءه بحروف عربية ، كما نقش على سقف الكنيسة التى شيدها فى الرمو نقوشا كوفية . وقد بلغ اعجاب روجر الثانى بمظاهر الحضارة الاسلامية حدا جعله يبقى على اللغة العربية الى جانب اللاتينية واليونانية ، فكان يراعى فى المراسيم التى يصدرها أن تكتب باللغات الثلاث ، ويحتفظ متحف صقلية بقطعة نقد ضربت فى عهده عام ١١٣٨ عليها شارتا الاسلام والمسيحية ، ونقش على أحد وجهيها شعار الاسلام " لا اله الا الله ، محمد رسول الله "(١).

هذا وقد أثبتت شواهد القبور ـ ومن بينها قبور للمسيحيين ـ التى أسفرت عنها اعمال الحفريات الأثرية حديثا ، أن اللغة العربية ظلت حية فى صقلية الى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى (التاسع الهجرى) (٢) . وفى عهد روجر الثانى وخلفائه شغل المسلمون مناصب عالية فى الحكومة والبلاط الملكى ، ولثقة الزائدة فيهم ، كون منهم قوة عسكرية للدفاع عنه ضد القلاقل التى كان يثيرها كبار الأمراء دوما . وقد كتب عنه المؤرخ ابن الأثير (٣) قائلا : " وأكرم المسلمين ، وقربهم ، ومنع عنهم الفرنج ، فأحبوه " .

ومن ملوك النورمان الذين تأثروا بالحضارة الاسلامية وليم الثانى (١١٦٦ ـ ١١٨٤) ، الذى كان يتقن العربية ، ويقرأ بها مختلف الكتب العلمية . ونلاحظ أنه اعتمد على المسلمين فى أهم شئونه ، ووضع ثقته فيهم ، فعملوا عنده

(١) رينالدى : المرجع السابق ، مجلة المقتطف ، المجلد ٥٩ ، ديسمبر ١٩٢١ ، ص ٥٣٥ .
(٢) محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ، ص ٢٧٤ .
(٣) الكامل فى التاريخ ، جـ ١٠ ، حوادث سنة ٤٨٤هـ .

كأطباء وفلكيين ، وكون منهم فرقة لحراسته . وقد أشاد بذلك الرحالة القـــدير ابن جبير الذى مر بجزيرة صقلية سنة ١١٨٤ (٥٨٠ هـ) ، وترك لنا تقـــريرا وافيا عن بلاط النورمان خلال زيارته بقـوله : " وشأن ملكهم هذا عجيب فى حسن السيرة واستعمال المسلمين ... وهو كثير الثقة بهم ، وساكن اليهم فى أحوالـه والمهم من أشغاله ... ورجاله من المسلمين يلوح عليهم رونق مملكه ، لأنهـــم متسعون فى الملابس الفاخرة ، والمراكب الفارهة ... وهو يتشبه فى الانغماس فى نعيم الملك ، وترتيب قوانينه ، ووضع أساليبه ، وتقسيم مراتب رجالـــه ، وتفخيم أبهة الملوك ، واظهار زينته ، بملوك المسلمين ... وله الأطبـــاء والمنجمون ، وهو كثير الاعتناء بهم شديد الحرص عليهم "(١) . ومهما يكـــن من أمر ، فان الصبغة الاسلامية عامة امتدت أيام النورمان الى كثير من نواحـــى الحياة فى صقلية ، لأن الحضارة الاسلامية كانت غالبة عليها ، وفى ظلهـــا نشأ روجر وخلفاؤه ، فوجدوا أنفسهم يقتبسونها ويفيدون منهـــا(٢) .

والجدير بالذكر أن البلاط النورمانى فى بالرمو كان يعج بالأطبـــاء والفلكيين والفلاسفة والشعراء وغيرهم من العلماء ، وقامت مدرسة للترجمة عـــن العربية وصلنا منها كتاب البصريات لبطليموس Ptolemy's Optica الذى ترجمه الى اللاتينية يوجين البالرمى Eugenius of Palermo وتتضح أهمية ترجمة هذا الكتاب فى أنها ظلت النسخة الوحيدة المعروفة فـــى الغرب الأوربى لبضعة قرون بعد أن ضاع أصلها العربى (٣) . وترجم يوجـــين

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .
(٢) احسان عباس : العرب فى صقلية ، ص ١٤٥ .
(3) Curtis, Roger of Sicily and the Normans in Lower Italy. 1016 - 1154, p. 322.

أيضا كتاب كلية ودمنة أو لعله ساعد فى ترجمته ، إذ جاء فى المقدمة أن الترجمة تمت بمساعدة رجال على دراية تامة بالعربية ، وهى جملة ربما لا يذكرها يوجين ، لا طلاعه الواسع فى العربية (١) .

وفى هذا البلاط استقبل روجر الثانى أعظم عالم جغرافى شهدته العصور الوسطى ، وهو الشريف الادريسى الذى أطلق عليه " سترابو العرب " ، وقد ولد الشريف فى سبته ، وتلقى تعليمه فى قرطبة ، وعاش حياة طويلة (١٠٩٩ - ١١٨٠) كرسها للبحث والعلم ، ويحكى عن روجر الثانى أنه استدعاه الى بلاطه فى سنة ١١٤٠ ، وقربه اليه (٢) . وكلفه بتأليف كتاب يحوى وصفا كاملا للمدن والبلاد يوضح طبيعتها وثقافتها ونشاطها البشرى ، ويذكر بحارها وجبالها وأنهارها وسهولها وأوديتها ، فضلا عن الحبوب والفواكه والنباتات التى تنمو فى تلك البلدان ، وعاداتها وتقاليدها ولغاتها وديانتها ، فوضع له كتاب " نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق " الذى اشتهر باسم كتاب روجر سنة ١١٥٤ (٣) .

وتعد جغرافية الادريسى دراسة مسهبة تفوق فى دقتها ووضوحها وقلة أخطائها جغرافية بطليموس الشهيرة التى تتمثل فى أنها جداول جافة بأسماء المواضع وذكر عرضها وأطوالها بصورة حافلة بالخطأ مع بعض المعلومات عن البلاد والمواضع ، وهى قليلة بالنسبة الى الشهرة الواسعة

---

(١) احسان عباس : المرجع السابق ، ص ١٦٠

(2) Curtis, op.Cit., pp. 311 - 312.

(٣) قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ، ص ١٨٦ - ١٨٧

التى يتمتع بها بطليموس ، فى حين أن الادريسى يقدم لنا جغرافية اقليمية بشرية اقتصادية حقيقية (١) . ومن أعظم ما أنجزه الادريسى كان خريطة مجسمة للعالم نحتها على لوح من الفضة ، لا تختلف اختلافا كبيرا فى تفاصيلها عما هو معروف لدينا . واستمر الادريسى فى بالرمو أيام وليم الأول وألف له كتابا آخر سماه " روض الأنس ونزهة النفس " ، وكان له مشاركة فى علوم أخرى كعلم النبات وفيه ألف " الجامع لأشتات النبات " ولكن ليس من المؤكد بأنه ألفه فى صقلية (٢) . وعلى أية حال ، يكفى أن نذكر هنا أن عالما ايطاليا هو ليفى دلا ڤيدا فى آخر دراسة له عن الادريسى تأسف على أن جغرافيته دخلت فى تراث المسلمين ولم تدخل فى تراث الايطاليين ، لأن الادريسى وحده شرف لأى حضارة من الحضارات (٣) .

ولعل أهم مظهر التقت فيه الحضارة الاسلامية بالغرب الأوربى على أرض صقلية كان على عهد الامبراطور فردريك الثانى (١١٩٨ - ١٢٥٠) وريث النورمان ، حتى قيل إن حضارة الغرب قد ولدت فى صقلية على أيامه . ولا يعنينا هنا كيف هيأت الظروف السياسية فى أوربا وقتئذ أن يصير فردريك الثانى سيدا على ألمانيا وصقلية وجنوب ايطاليا لا ينازعه منازع ، بل يهمنا أنه نشأ وتربى فى صقلية ، وتلقى تعليمه بها على مقربة من المؤثرات العربية الاسلامية والبيزنطية الاغريقية والرومانية اللاتينية .

---

(١) حسين مؤنس : مكان المسلمين فى التاريخ العام لعام الجغرافية ، ص ٣٩ .
(٢) احسان عباس : المرجع السابق ، ص ١٦٠
(٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

ولا شك أن ارتباط فردريك الثانى بصقلية ارتباطا وثيقا من حيث النشأة فى بيئة تعمقت جذور الحضارة الاسلامية فى تربتها قرابة ثلاثة القرون ، ولا زال تأثيرها قويا فى القرن الثالث عشر الميلادى ، ودرايته باللغة العربية مثل أسلافه ملوك النورمان ، وتبنيه عادات المسلمين فى سلوك حياته الشخصية على غير عادة ملوك أوربا وأمرائها فى الشمال (١) ، ساعد على تحرره من قيود الحماس الدينى المتطرف السائد فى أوربا فى عصره . ويظهر ذلك واضحا فى علاقات الصداقة والود بينه وبين معاصره السلطان الكامل الأيوبى ، تلك الصداقة التى بلغت حدا جعلت المؤرخ الألمانى كانتور وفيتز يصفها بقوله : " كان الكامل نسخة شرقية من الامبراطور ، ان لم يكن أقرب الى الصحة أن نقول ان الامبراطور كان نسخة غربية من السلطان الكامل (٢) . ولا يتسع المجال هنا لتتبع العلاقات السلمية بين هاتين الشخصيتين فى صورها الحضارية المختلفة ، وعلى وجه الخصوص خلال الرحلة الصليبية التى قام بها فردريك على رأس قوة صغيرة فى سبتمبر سنة ١٢٢٨ ، وهى الحملة المعروفة بالسياسة .

وكأغلب العاهلين الأوربيين من الشرق الأدنى بنى فردريك الثانى قلاعه على الطراز الاسلامى الذى شاهده فى بلاد الشام خلال حملته الصليبية ، كما أنه أعاد بناء ما تهدم من القلاع القديمة فى صقلية على نمط هذا الطراز امكنه

(1) Larner, Italy and the Age of Dante and Petrarch, 1216 - 1380, p. 22.

(2) Kantorowiez, Fredrick the Second, p. 185.

وقد انتقل هذا الطراز من جنوبى ايطاليا الى شمالها ، ثم إلى ألمانيا (١).

كما أن فردريك فى بناء دولته وتنظيمها أفاد من النظم الاسلامية ، فلولا اتباعه النظام المالى فى الشرق الاسلامى آنذاك لما استطاع أن يجمع الأموال اللازمة خلال حروبه ضد الثائرين عليه ، وصراعه ضد البابوية ، ففى كل عام كان جباة الضرائب مع رجال المساحة يقدرون الضرائب على الأرض حسب مساحتها وخصوبتها ، كما تعلم فردريك أثناء اقامته فى الشرق أن امتلاك الدولة للمعادن الخام واحتكارها لأنواع معينة من السلع كان حقا من حقوقها ، ولذلك لم يكد يعود الى بلاده ، حتى بدأ فى احتكار الملح والمعادن الخام والقطران والقنب والكتان وتجارة الحرير وصباغته (٢). ومع أن النورمان قد أخذوا نظام الضرائب والمكوس عن المسلمين ، الا أن فردريك عدله ، فبدلا من المكوس التى كانت تفرضها كل إقطاعية تبعا لمشيئتها ونفوذها ، أصبح هناك نظام الجمارك على الحدود وفقط ، ففى كل الموانىء ومنافذ الحدود أنشأ فردريك بيوتا حكومية على نسق الفنادق فى الأقطار الاسلامية ، جعلها تخدم المسافرين والتجار وتعد لهم مبيتهم ، وكان على التجار أن يقدموا ما يحملونه من بضائع لموظفى الجمارك فى تلك الفنادق ، فتوزن وتقدر عليها المكوس تبعا لقيمتها ووزنها (٣).

وفى خلال حياة فردريك الثانى التى دامت ستة وخمسين عاما ، باشرت الحضارة الاسلامية بمختلف روافدها الثقافية والفكرية تأثيرها ، حيث وجدت

---

(١) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٤٤٢

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥.

فى شخصيته مناخا فكريا مهيأ لتقبلها ورعايتها وتشجيعها . وفى هذا الصدد أجمعت المراجع على أن شخصيته كانت متعددة الجوانب والمواهب ، اذ تفضلا عن مهارته كسياسى ومحارب وقانونى ، كان محبا للفلسفة والمنطق والطب والرياضيات ، ذواقا للشعر العربى وغير العربى ، حتى أطلق المؤرخون عليه "أعجوبة الدنيا" "Stupor Mundi" (١) .

ومن الملاحظ أن بلاط فردريك الثانى فى بالرمو بعد عودته من الشرق شهد موجة عالية من النشاط العلمى والفكرى ، واجتمع فى جنباته عدد وافر من العلماء وكبار المترجمين تحت رعايته وتشجيعه ، استعان بهم لنقل العلوم الاسلامية التى شغف بها الغرب الأوربى ، مثل علم الصحة والأحياء والتنجيم والرياضيات . ومن أبرز هؤلاء العلماء ميشيل سكوت الانجليزى Michael Scott، (ت ١٢٣٥) ، الذى وضع لفردريك كتابيه فى علم الفلك وهما Liber Particularis, Liber Introductorius (٢) . وقد ترجم ميشيل ما جمعه ابن سينا من كتاب الحيوان لأرسطو تحت عنوان "كتاب الحيوان" Liber Animalium. ، كما ترجم عن ابن رشد شروحه لأرسطو ، وكتاب البطروجى فى هيئة العالم . وهذا الكتاب الأخير لم يؤثر تأثيرا عميقا فى العقلية الفلكية فحسب ، بل فى العقلية الفلسفية الفيزيائية فى أوربا الى أواسط القرن السادس عشر ، وجدير بالذكر أن ميشيل

---

(١) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، حـ ١ ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

(2) Larner, op. Cit., p. 17.

نسب هذا الكتاب الى نيقولاوس الدمشقى الذى عاش فى القرن الأول الميلادى.(١)

وفى طليعة العلماء الذين شغلوا مكانة بارزة فى بلاط فردريك تيودور الأنطاكى Theodore of Antioch. الذى لقب بفيلسوف البلاط لسعة اطلاعه ونبوغه فى كل نواحى العلم والمعرفة ، اذ كان يناقش فردريك فى المسائل الرياضية والفلك ، ويقرأ له طالعه ، ويهتم بشئون الدولة ، علاوة على اشتغاله بالمراسلات مع الحكام المسلمين أو ايفاده اليهم فى مهام سياسية أو تجارية.(٢)

وقد كلفه فردريك الثانى أن يترجم كتابا عن فن تدريب الصقور ألفه مربى صقور الامبراطور ، وكانت هذه الترجمة هى الأساس الذى اعتمد عليه الامبراطور فى تأليف كتابه عن الصقور وهو اول كتاب علمى حديث فى التاريخ الطبيعى ، فضلا عن أنه أفضل ما كتب عن الطيور.(٣) ويرجع الفضل أيضا الى تيودور فى أنه ترجم للامبراطور بحثا فى أصول علم الصحة ، أخذه عن كتاب " سر الأسرار " المنسوب لأرسطو عن العربية.(٤)

وقد حرص فردريك الثانى على أن يشغل نفسه بمراجعة الترجمات ، حتى وهو فى معسكره . وفى بعض الأحيان كانت تعترضه مشكلات علمية ولا يجد من علماء بلاطه من يقدم اليه الحلول المرضية لها ، فكان يبعث بها الى أصدقائه

---

(١) فؤاد سزكين : محاضرات فى تاريخ العلوم ، ص ٧٩ - ٨٠.
(٢) هونكة : المرجع السابق ، ص ٤٥٥.
(3) Larner, Op.Cit., p. 23; Galbrieli, pp. 867-868
(4) Hitti, History of the Arabs, p. 610.

من ملوك المسلمين ، ويطلب أن يعرضوها على من لديهم من علماء للا جـــابة عليها . وعلى سبيل المثال أرسل مسائل رياضية الى صديقه السلطان الكامـــل الأيوبي (١٢١٨ ــ ١٢٣٨) ، حلها العالم الرياضي المصري أبو المعالـــي قيصر بن عبد الرحمن الأسفوني ، فإنه كان المشار اليه في ذلك (١) . كمـــا بعث الى ابن سبعين في مدينة سبتة بالمغرب الأقصى ــ وكان معاصرا لـــه ــ بأربعة أسئلة فلسفية هامة ، لم يتردد الفكر الاسلامي في أن يجيب عنها فحسب ، بل رفض الهدية التي قدمهـا له الامبراطـور (٢) .

ولم يكن ما نفرد (ت ١٢٦٦) أقل اهتماما من أبيه فردريك الثاني بالحضـــارة الاسلامية والافادة منها ، بل سار على نهجه ، وعني مثله عناية خاصة بالعلـــوم الرياضية والطبيعية ، واستمرت في عهده حركة الترجمة عن العربية . ومما يذكـــر أن ما نفرد عاصر سلطان مصر المملوكي الظاهر بيبرس (١٢٦٠ ــ ١٢٧٧) ، وقامت بينهما علاقات مودة وصداقة ، تخللها تبادل الهدايا والسفارات ، ففي أوائـــل حكمه في سنة ١٢٦١ (٦٥٩ هـ) أرسل بيبرس سفارة الى ما نفرد على رأسهـــا المؤرخ المعروف جمال الدين بن واصل ، أورد تفاصيلها في كتابه « مفرج الكروب في أخبـار بني أيـوب » (٣) .

---

(١) الأدفوي : الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، ص ٤٦٩ ــ ٤٧٠ با
جمال الدين الشيال : التاريخ الاسلامي وأثره في الفكر التاريخي الأوربي ص ٤٨ ــ ٤٩

(2) Hitti, Op. Cit., p. 587.

(٣) جمال الدين الشيال : المرجع السابق ، ص ٥٤ ــ ٥٥ .

وينبغـــى ألا ننسى أن العلماء اليهود فى صقلية لعبوا دورا بارزا فـــــى ترجمة العلوم الاسلامية فى أيام ملوك النورمان وخلفائهم . ومن أولئك العلمـــاء فرج بن سالم الذى نقل موسوعة الرازى فى الطب ـ وهى كتاب " الحـــــاوى " ـ الى اللاتينية فى سنة ١٢٧٩ تحت رعاية وتشجيع شارل الأول الأنجـــــوى (١٢٦٦ ـ ١٢٨٥) ، وقد ظهرت هذه الترجمة فى مخطوطات عديدة فـــــى القرون التالية (١) .

واذا كان من الملاحظ أن حركة الترجمة النشيطة فى بالرمو فى عصر النورمـان وخلفائهم رغم قلة ما وصلنا من نتاجها ، قد اتجهت فى معظمها الى العلـــــوم الرياضية والفلكية والفلسفية التى أبدعتها الحضارة الاسلامية ، فليس معنى هـــذا أن الأدب ـ شعرا ونثرا ـ لم ينل ما نالته تلك العلوم . ذلك أن كثيرا مـــن المستشرقين عالجوا قضية الشعر العربى وأثره فى الشعر الأوربى من نواح عديـدة ، وقطع أكثرهم بصحة هذه القضية بعد أن أجروا دراسات على الشعر العربى والشـعر الأوربى ، وفى هذا الصدد يؤكد دانتى أن الشعر الايطالى لم يولد فـــــى إيطاليا ، وانما فى صقلية التى عاش المسلمون فيها قرابة ثلاثة ســـــنة ، وكانت لغتها العـربية (٢) . والواقـع أنه رغم انحسار المد الاسلامى عـــن الغرب الأوربى ، إلا أن روح الأدب العربى ظلت باقية تمد الأدب الأوربى بصفـــة عامة والأندلسى بصفة خاصة بطاقات وافرة من الخيال الخصب . وتأتى فـــــى

---

(١) Hitti, op.Cit., pp. 612-613; Gabrieli, Op.Cit, p.853.

(٢) مصطفى الشكعة : معالم الحضارة الاسلامية ، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩

مقدمة الأعمال الأدبية الكبرى الكوميديا الالهية للشاعر الايطالى الكبير دانتى ، التى تأثر فى كتابتها تأثرا مباشرا بالفكر الاسلامى والأدب العربى ، مما جعلها تنال شهرة بالغة الذيوع (١) . ذلك أن من يقرأ الكوميديا لا يستطيع أن ينكر مدى تأثر دانتى بكتاب " رسالة الغفران " لأبى العلاء المعرى (ت ١٠٥٧) ، وبما كتبه الفيلسوف الصوفى الأندلسى محيى الدين بن عربى (ت ١٢٤٠) عن المعراج الذى يحكى صعود محمد صلى الله عليه وسلم - ليلة الاسراء - الى السموات ، ويرجع الفضل فى هذا الكشف الى المستشرق الأسبانى أسين بلاسيوس Asin Palacios. ، اذ استطاع أن يثبت أن كتاب " تاريخ العرب " Historia Arabum الذى ألفه الأسقف رودريجو خيمينيز دورادا الطليطلى (١١٧٠ - ١٢٤٧) يحتوى على سيرة للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيها ترجمة لقصة الاسراء والمعراج منقولة عن كتاب من كتب علم الحديث العربية (٢) .

ومما يجدر ذكره أن اللغة العربية تركت عددا وفيرا من مفرداتها فى اللغتين الصقلية والايطالية يضيق بنا المجال عن ذكرها ، ولا تزال عدة أماكن ومدن فى أنحاء الجزيرة تحمل أسماءها العربية .

وكيفما كان الأمر ، فقد ظل المسلمون يمارسون نشاطهم الحضارى فى صقلية وجنوب ايطاليا سواء كانوا سادة أو مسودين زهاء الخمسة قرون ، الى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٢) جوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص ٥٨ .

انتهى نفوذهم فى مدينة لوجارة Lucera فى سنة ١٣٠٠ على أيدى الرهبان المتعصبين الذين امتلأت قلوبهم حقدا على ما وصل إليه المسلمون من مكانة ، فأشعلوها حربا صليبية كان صراع المسلمين فيها صراعا يائسا . وهنا ينبغى القول أن الحضارة الاسلامية فى صقلية لم تبلغ ذروة مجدها أيام حكم المسلمين أنفسهم للجزيرة ، وانما فى عهد الملوك النورمان وخلفائهم ، الذين شغفتهم تلك الحضارة فاحتضنوها وقاموا برعايتها خير قيام .(١) والحق أن الحضارة الاسلامية تدين بالفضل - الى حد كبير - للنورمان وخلفائهم ، فهم الذين جعلوا من صقلية وجنوب إيطاليا فى أيامهم جسرا اجتازته تلك الحضارة الى شبه الجزيرة الايطالية ووسط أوربا .(٢)

أسبانيا :

ونأتى هنا الى أعظم وأهم طريق سلكته الحضارة الاسلامية الى غرب أوربا فى العصور الوسطى ، وهو أسبانيا . كانت أسبانيا قبيل الفتح الاسلامى غارقة فى التدهور العام الذى شمل غرب أوربا منذ سقوط الامبراطورية الرومانية سنة ٤٧٦ م ، وقد ساعدت الاضطرابات السياسية والفوضى الاجتماعية التى كانت تعانيها أسبانيا على نجاح الفتح فى مستهل القرن الثامن الميلادى . وسرعان ما تدفق العرب والبربر عليها من شمال أفريقية ، وانتشروا فى جميع أنحائها ، فى مدنها وقراها وسهولها ووديانها .

---

(١) سعيد عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٤٩

(2) Hitti, Op. Cit., p. 613.

ويعتبر الدور الذى لعبه الأمويون بالأندلس دورا مزدوجا ، قام على توطيد ملكهم ، وتنمية استقلال الاندلس السياسى عن المشرق الاسلامى ومنافسته فى مظاهر الحضارة (١) . وقد تألقت الحضارة الاسلامية بالأندلس - على وجه الخصوص - فى القرن العاشر الميلادى فى عهد عبد الرحمن الناصر (٩١٢ - ٩٦١) ، اذ أطل على الأندلس عهد ملىء بالاستقرار والقوة والأمن ، ازدهر فيه النشاط العلمى ، وبلغ العمران قمته ، وفى عهد ابنه الحكم المستنصر (٩٦١ - ٩٧٦) بلغت الحضارة الاسلامية ذروتها فى التألق ، فقد وصلت قرطبة الى أوج البهاء والعظمة ، فأصبحت تنافس مدن العالم الكبرى بغداد وروما والقسطنطينية فى الاتساع والتخطيط والعلم والفن (٢) . وقد أجمع المؤرخون على أنه لم توجد مدينة أخرى معاصرة فى أوربا - بخلاف القسطنطينية - بلغت ما بلغته من شأو بعيد فى الازدهار ورخاء الحياة ، حتى أن شهرتها وصلت الى داخل ألمانيا ، فذكرتها الراهبة هروسويتا (المتوفاة حوالى ١٠٠٢) فى شعرها ، وأطلقت عليها " زينة الدنيا " (٣) . ويكفى قرطبة الأندلس الأموية فخرا أن أهلها كانوا يسيرون فى طرقاتها بعد غروب الشمس فى ضوء المصابيح العامة المثبتة على حيطان المنازل ، بينما وصفت " جريدة كولونيا الألمانية " إضاءة الشوارع بهما بيح الغاز فى عددها الصادر يوم ٢٨ مارس ١٨١٩ ، بأنه شر مستطير من البشر يهدد الظلام الا لهى (٤) .

---

(١) لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا ، ص ٦ .

~~(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، ص ٦١ .~~

(٣) ليفى بروفنال : الحضارة الاندلسية ، ص ٧٦ . ،

لين بول : العرب فى اسبانيا ، ص ١٢٦ .

(٤) هونكه : المرجع السابق ص ٥٠١ .

ولكن الدولة الأموية بالأندلس بعد وفاة المنصور بن أبي عامر سنة ١٠٠٢ تمزقت وانهارت ، ودخلت الأندلس فيما يعرف بعصر ملوك الطوائف ، الذي تعددت فيه الزعامات في كل مدينة ومقاطعة ، وأخذت تحركها المنافسات والأطماع الشخصية . وعلى عكس ما كان يتوقعه المرء ، فان الثقافة الأندلسية لم تكن أكثر ازدهارا منها خلال القرن الحادي عشر ، فقد غدا بلاط ملوك الطوائف مراكز حضارية اجتمع فيها الشعراء والأدباء والفنانون والعلماء والفلاسفة والأطباء في ظروف مادية ميسرة (١) . بيد أنه ما كاد القرن الحادي عشر يشرف على نهايته ، حتى بدأ رد الفعل المسيحي في الحركة التي أطلق عليها حركة الاسترداد La Reconquista المتمثلة في الضغط على القوى الاسلامية واستعادة أراضي أسبانيا منها . وكان سقوط طليطلة في أيدي الفونس السادس ملك قشتالة في مايو ١٠٨٥ (٤٧٨ هـ) بداية النهاية للوجود الاسلامي في الأندلس . إذ رغم أن الأندلس قد التأم شملها بعد ذلك في ظل المرابطين ثم الموحدين من بعدهم ، فالواقع أنها لم تعجز عن استرداد وحدتها القديمة فحسب ، بل أخذت مدنها تتساقط تباعا في أيدي نصارى الشمال ، حتى اذا جاء القرن الثالث عشر ارتدت رقعة الأندلس الاسلامية الى ما وراء نهر الوادي الكبير ، وانحصرت في مملكة غرناطة . ومما يسترعي الانتباه في هذا الصدد أن المدن الاسلامية أثناء سقوطها تباعا في أيدي المسيحيين لم تفقد دورها الحضاري ، اذ ظلت مراكز للثقافة يجتمع بها

---

(١) ليفي بروفنسال : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

العلماء لدراسة كنوز العلم والمعرفة التى خلفهـا المسـلمون وراءهـم .

ومهما يكن من أمر ، فقد انقسمت أسبانيا فى عصرها الاسلامى الى شـطرين بينهما فارق كبير ، فالشطر الشمالى استغرقه الانحطاط الذى شمل الغـرب الأوربى ، فى حين أن الأقاليم الجنوبية ازدهرت وشاركت فيما بلغته الثقافة العربيـة من أوج ، الأمر الذى جعل اللغة العربية لغة التقدم ، أما اللاتينية ، وقـد اقتصرت إبان الحقبة الزمنية الواقعة بين القرنين الثامن والثانى عشر على كونهـا لغة ثقافية للغرب الأوربى ، لم تعد لها قيمة ما بالقياس إلى العربية كما يـرى ذلك روجر بيكون فى القرن الثالث عشر ، ويحكم هذا التفوق العظيم للحضـارة الاسلامية ظهرت تأثيراتها فى شمال أسبانيا منذ القرن الثامن ، ولكن هـذه التأثيرات لم تتضاعف إلا فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، عندما أخـذت تنتقل من أسبانيا الى الشعوب الأوربية الأخرى ذات الثقافة اللاتينية البحتة . (١) ووجه الأهمية هنا أن المسيحيين الذين اختلطوا بالمسلمين وتعايشوا معهـم قدراقهم التفوق العظيم للحضارة الاسلامية ، فتأثروا بها ، وقلدوا المسلمين فـى طرق معيشتهم وعاداتهم وتقاليد ، حتى أطلق عليهم لذلك " المسـتعربون " Mozarabes . ولما كان هؤلاء المستعربون يمارسون أنشطة علمية وعملية مختلفة دون أدنى تدخل من جانب الحكام المسلمين ، ودأبـوا على التنقل بين الأقاليم الاسلامية والأمارات المسيحية فى الشمال ، فقد لعبـوا

---

(١) رامون منندث بيدال : اسبانيا حلقة اتصال بين المسيحيه والاسلام ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلاميه ، العدد الاول ، السنه الاولـى ،

دورا هاما فى نقل الحضارة الاسلامية الى قلب أوربا ، ذلك أن أقاليم شمال أسبانيا المسيحية لم تقتصر صلتها بالأندلس الاسلامية فى الجنوب فحسب ، بل كانت أيضا على صلة دائمة بمدن أوربا سياسيا وتجاريا ، ولم تكن جبال البرينيه (البرانس) تقف حائلا دون هذه الصلة ، فممراتها جعلت مهمتها سهلة ، ومن هنا سلكت الحضارة الاسلامية طريقها الى أوربا الغربية .

وفضلا عن اتخاذ أساليب الحياة الاسلامية ، كانت اللغة العربية وآدابها أهم ما تعلق به هؤلاء المستعربون ، الى الحد الذى جعلهم يهجرون لغتهم اللاتينية ، ويهيمون حبا بالعربية ، حتى جأر المطران ألفار والقرطبى بالشكوى فى سنة ٨٥٤ م بقوله : " إن إخوانى فى الدين يجدون لذة كبرى فى قراءة شعر العرب وحكاياتهم ، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين ، لا ليردوا عليها وينقضوها وانما لكى يكتسبوا من ذلك أسلوبا عربيا جميلا فصيحا . وأين تجد الان واحدا من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التى كتبت على الأناجيل المقدسة ؟ ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتابات الحواريين واثار الأنبياء والرسل ؟ يا للحسرة : إن الموهوبين من شباب النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها ويؤمنون بها ويقبلون عليها فى نهم . وهم ينفقون أموالا طائلة فى جمع كتبها ، ويصرخون فى كل مكان بأن هذه الاداب جديرة بالاعجاب . يا للألم : لقد نسى النصارى حتى لغتهم ، فلا تكاد تجد بين الألف منهم واحدا يستطيع أن يكتب الى صاحب له كتابا سليما من الخطأ ، فأما عن الكتابة فى لغة العرب ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنا وجمالا " (١) .

---

(١) جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ترجمة د . حسين مؤنس ، ص ٤٨٥ - ٤٨٦ ، ليفى بروفنسال : المرجع السابق ، ص ٧٢ .

وثمة وثيقة حية تصور مدى تغلغل اللغة العربية وأدبها فى حياة المستعربين ، وتتمثل هذه الوثيقة فى مخطوطة مشهورة محفوظة فى المكتبة الأهلية بمدريد ، وتشتمل على ترجمة القانون المقدس من اللاتينية الى العربية ، حررها فى سنة ١٠٤٩م القس فسنسيو Vicencio ، وقد سمى نفسه فيها بنجنسيس ، والكتاب كله مهدى الى الأسقف عبد الملك ، وقد نظمت عبارات الاهداء فى أبيات عربية لا تفترق فى شيء عما ينظمه المسلمون فى مثل ذلك المقام شكلا ومضمونا ، منها :

كتاب لعبد الملك الأسقف النَّدْب

جوادٍ نبيل الرفْد فى الزمن الجدب

هما م ذكى الحدْس واحدِ عصره

عليمٍ كريم ذى حلوم وذى لُبّ

يجدد فضلُ الله فينا بفضله

وعمَّ به كلَّ الأنام هدى الرب

فلا زال فى عز من الله شاملٍ

مدى انهل مزن فى قرى الأرض بالسَّكْب (١)

وكما انتشرت اللغة العربية بآدابها بين المسيحيين المعايشين للمسلمين فى الأندلس ، انتشرت كذلك بين اليهود المخالطين لهؤلاء تحت راية أسبانيا

---

(١) جنثالث بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٤٨٦ - ٤٨٧ ،
لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٩ - ٣٠ .

الاسلامية السمحة ، فكان المجتمع الأندلسى كله من المسلمين وغير مسلمين اسلامى فى طابعه وحضارته ، وهؤلاء اليهود المخالطون للمسلمين والمستعربين فى الأندلس ، كانوا كثيرى التنقل والاتجار بين المدن الاسلامية والمناطق المسيحية ، وكانوا يحملون الى الآفاق بضاعة من أنفس الذخائر ، وهى علوم المسلمين وآدابهم (١) .

ولم يكن دور المدجنين Mudejars ـ أى الذين دجنوا (أقاموا مكانهم) تحت سلطان الغالبية ـ فى نقل الحضارة الاسلامية الى غرب أوربا بأقل مما نهض به المستعربون . وقد بدأ المدجنون فى الظهور فى القرن الثالث عشر وما يليه الى أن سقطت غرناطة فى أيدى جيوش فرديناند وايزا بيلا قرب نهاية عام ١٤٩٢ ، فكثرت منذ ذلك الحين الجماعات الاسلامية التى تعيش فى حماية المسيحيين ، وأول ما يلاحظ من آثار المدجنين فى الحياة الأوربية الفن المعمارى (٢) . إذ ابتكروا فنا عظيما مزجوا فيه بين الطراز الأندلسى والطراز المغربى والطراز القوطى ، وأخرجوا من هذا كله ذلك الطراز المعمارى الوحيد الذى أضافته أسبانيا الى تاريخ الفن المعمارى ؛ والسمات المميزة لهذا الطراز هى الأقواس المدببة فى أعلاها ، المعتمدة على أعمدة رخامية رفيعة كأنها أقلام الرصاص ، وقد توضع اثنين اثنين لتحتمل ما فوقها ، ويمتاز هذا

---

(١) احمد هيكل : تراثنا الادبى الاوربى ، مقالة فى كتاب التراث العربى دراسات ص ٣٦ـ٣٧ .

(٢) لطفى عبد البديع : المرجع السابق ، ص ١٦٥ـ١٦٧ .

الطراز كذلك بالزخارف الجصية أو المنحوتة فى الحجر التى يحار فيها النظر ، والكتابات الزخرفية الرائعة .(١) ومما يجدر ذكره أن الفونس العاشر الملقب بالحكيم (١٢٥٢ - ١٢٨٤) تقديرا منه لخدمات المدجنين أصدر فى سنة ١٢٨٠ رسالة أشاد فيها بأعمالهم ، وتعهد لهم فيها بألا يتعرض أحد لهم بالأذى .(٢)

والواقع أن كثيرا من طلاب العلم الأوربيين خارج حدود شبه الجزيرة الأيبرية كانوا يهرعون الى المراكز الثقافية بقرطبة إبان ازدهار الحضارة الاسلامية بها ، ويشاركون الأندلسيين التعلم فى تلك المراكز . فالطالب الانجليزى أو الاسكتلندى الذى يرغب فى أن يظفر من علوم أرسطو بنصيب أوفر مما يستطيع الحصول عليه من النصوص اللاتينية الهزيلة فى بلاده ، كان بوسعه أن يشد الرحال الى أسبانيا ، وهناك يتعلم كيف يقرأ المؤلفات اليونانية بالعربية ،(٣) ثم يعود الى وطنه وقد حمل معه التأثيرات الحضارية المأخوذة مباشرة من جيرانه المسلمين . ولا شك أن طلاب العلم القادمين من مختلف البلاد الأوربية كانوا يجدون الرعاية والتشجيع فى أسبانيا المسلمة ، التى هيأ خلفاؤها وأمراؤها جوا مناسبا لنشر العلم والافادة منه . وليس أدل على ذلك من أن الخليفة الحكم المستنصر الأموى قد أنفق معظم عمره فى جمع الكتب ، اذ دأب على ارسال

---

(١) حسين مؤنس : الرحلة الاندلسية ، ص ١٤٠ .

(٢) لطفى عبد البديع : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٣) ترند : تراث الاسلام مجـ١ ، ص ٥٥-٥٦ .

مندوبين الى شتى الأقطار العربية لشراء أمهات الكتب ونوادر المخطوطات في مختلف أنواع الفنون والعلوم من القاهرة وبغداد ودمشق وغيرها ، فاذا تعذر شراؤها أرسل من يقوم بنسخها واحضارها الى قرطبة ، وقد أشاد المؤرخون بصفات الحكم العلمية . فقد جمع من الكتب مالا يحد ولا يوصف كثرة ونفاسة ، حتى قيل إنها كانت أربعمائة ألف مجلد ، ... وكان عالما نبيها ، صافي السريرة ، ... وكان يستجلب المصنفات من الأقاليم والنواحي ، باذلا فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها خزائنه ، وكان ذا غرم بها ، قد أثر ذلك على لذات الملوك ، فاستوسع علمه ، ودق نظره ، وجمعت استفادته (١) .

ولا تفوتنا الاشارة الى أن حركة الترجمة النشيطة التي تضاغت في أسبانيا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، واستمرت باقية حتى القرن الخامس عشر ، كانت صاحبة الدور الأساسي في نقل الحضارة الاسلامية الى الغرب الأوربي في العصور الوسطى ، خاصة وأن الجامعات الأوربية قد بدأت في الظهور الى عالم الوجود ، وبدأ يكثر الطلب على الكتب المترجمة ، وتشتد الرغبة في طلب أكبر قدر ممكن من علوم المسلمين . وقد أسهمت مدينة طليطلة بعد أن استولى عليها ألفونس السادس ملك قشتالة في مايو ١٠٨٥ (صفر ٤٧٨هـ) بنصيب وافر في حركة الترجمة ، مما جعل منها مركز الثقل الذي انتشرت منه علوم المسلمين وآدابهم الى باقي نواحي أسبانيا وأوربا ، ويرجع الفضل في ذلك الى رايموند

---

(١) المقري : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، جـ١ ، ص ١١٩ .

(١١٢٦ - ١١٥٢) أسقف طليطلة وكبير مستشاري ملوك قشتالة على أيامه[1] إذ أنشأ مدرسة للترجمة تحت رعايته ، اجتمع في جنباتها علماء مسلمون ومسيحيون ويهود ، لنقل العلوم العربية الى اللاتينية والأسبانية الدارجة .[2] وفي هذه المدرسة تمت ترجمة الكثير من المؤلفات العربية في الرياضيات والفلك والتنجيم والموسيقى والطب والطبيعة والكيمياء والجغرافيا والتاريخ ، وان كانت كتب المنطق والفلسفة الاسلامية لقيت عناية خاصة ، لأن الفكر الأوربي في العصور الوسطى كان يقوم على معالجة المسائل الدينية والفلسفية ، ومن ثم نقل الأوربيون ما يساعدهم على فهمها وتوضيحها . وقد استلزم هذا ترجمة فلسفة ابن رشد وشروحه على أرسطو بوجه خاص ، حتى إذا انتصف القرن الثالث عشر كانت جميع كتبه قد ترجمت الى اللاتينية وانتشرت في أرجاء أوربا .

وكيفما كان الأمر ، فقد نالت مدرسة طليطلة شهرة واسعة ، جعلت كثير من العلماء المتعطشين إلى الارتواء من مناهل العلوم الاسلامية يهرعون اليها من مختلف أنحاء أوربا . ومن أبرز العلماء الذين قصدوها الانجليزي روبرت الشستري Robert of Chester ، الذي ترجم كتاب للخوارزمي سنة ١١٤٥ ، وعمل مع هرمان الدلماشي أو هرمان الكسيح Hermanus Contractus على نقل معاني القرآن الكريم

---

(١) جنثالث بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٥٣٦-٥٣٧ .

(2) Saunders, A Hist. of Medievol Islam, P. 167,
Hitti, op.cit., P.588.

الى اللاتينية ، وقد أنجزا هذه الترجمة فى سنة ١١٤٣ . (١) ومما يذكر أن هرمان الكسيح عرف بهذا الاسم لأنه ورث حين ولادته مرضا فى النخاع العظمى أقعده طريح الفراش ، وحين بلغ السابعة من عمره أرسله والده الى دير رايخنو Reichenau حيث أمضى به بقية عمره ؛ ومما يدعو للاعجاب أن عجزه لم يمنعه من تحقيق ما عجز الأصحاء عن تحقيقه . ويتجلى ذلك فيما لديه من روح وثابة جعلته أوسع معلمى الدير شهرة ، وأكثرهم حبا للعلم : ولعله أخذ الكثير من معلوماته عن الفكر الاسلامى عن طلبة العلم وهم فى طريق عودتهم الى أوطانهم ، بعد أن أتموا دراساتهم فى المراكز الثقافية الاسلامية (٢) أو على الأرجح أنه حصل فعلا على ترجمات لمؤلفات عربية . وقد قام هرمان بترجمة كتاب " البلاغة والشعر " لأرسطو ، مستعينا فى ذلك بشرح الفارابى " للبلاغة " والتلخيص الذى عمله ابن رشد " للشعر " . (٣)

أما أدلارد الباثى الذى مر بنا عند الحديث عن الحروب الصليبية فى الشرق الأدنى كجسر عبرته الحضارة الاسلامية الى أوربا ، والذى يعتبر أبرز عالم انجليزى قبل روجر بيكون ، فقد ترجم الى اللاتينية جداول المجريطى فى الفلك سنة ١١٢٦ م ، كما ترجم عددا من الكتب فى الفلك والرياضيات ، والتف حوله مجموعة من التلاميذ . (٤) ويرجع الفضل الى ميشيل سكوت - الذى سبقت الاشارة

---

(1) Hitti, op.cit., P.588.

(٢) هونكه: المرجع السابق ، ص ١٣٩-١٤٠ .

(٣) جنثالث بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٥٣٩ .

(4) Hitti, op.cit., P.588.

ترند : تراث الاسلام مجـ١ ، ص ٥٤-٥٥ .

إليه - فى أنه أول من أدخل فلسفة ابن رشد الى أوربا ، وفى مدرسة طليطلة قام بترجمة العديد من المؤلفات العربية ، ومن بينها كتاب البطروجى فى الفلك (١) .

ويعتبر جيرارد الكريمونى Gerard of Gremona وهو من إقليم لومبارديا بشمال ايطاليا أبرز الأسماء التى لمعت فى مدرسة طليطلة ، وكان قد ورث ثروة واسعة تخلى عنها ، وعاش حياة بسيطة كرسها كلها للعلم الذى شغف به ، ورحل من أجله الى طليطلة ، حيث تعلم فيها العربية على أحد المستعربين ، وقد عنى جيرارد بترجمة أكثر من سبعين مؤلفا عربيا ، تناولت مختلف ألوان المعرفة ، وبخاصة الرياضيات والطب والطبيعة والكيمياء ، وبعد أن قضى معظم حياته فى الترجمة عاد إلى وطنه فى شمال ايطاليا ، حيث توفى هناك فى سنة ١١٨٧ ، تاركا خلفه شهرة واسعة فى تاريخ المعرفة فى غرب أوربا (٢) . والجدير بالانتباه أن جيرارد رأى أن فى مقدرته بعد ترجمته لكتب الفلك أن يؤلف كتابا فى علم الفلك النظرى ، ولكن الذى فعله فى الحقيقة هو أنه جمع بين كتابى الفرغانى والبتانى (٣) . ومن الواضح أن وجود جيرارد بطليطلة دليل قاطع على أن ثمة اتصال علمى بين أسبانيا وايطاليا

---

(1)Hitti, op.cit., P.588.

(2) Galbieli, op.cit., P.855,

ريسلر: الحضارة العربية ، ص٢٢٧ ، جنثالثبالنثيا : المرجع السابق ، ص ٥٣٩ .

(٣) فؤاد سزكين : المرجع السابق ، ص ٧٩-٨١ .

خلال القرن الثانى عشر من ناحية ، وأن مدرسة طليطلة كانت بمثابة المغناطيس الذى اجتذب اليه المترجمين من أنحاء أوربا يطلبون علوم المسلمين من ناحية أخرى .

وكان من أساتذة هذه المدرسة دومينيكوس جندیسالفى Dominicus Gundisalvi (ت ١١٨١) ، أحد كبار الأساقفة الأسبان ، الذى عنى بالناحية الفلسفية ، فترجم كتب ابن سينا والفارابى والكندى والغزالى ، ويوحنا بن داود الأسبانى اليهودى المتنصر (ت ١١٦٦) الذى ترجم " كتاب العلل " ، وكتابا فى الطبيعة ، وآخر فى المنطق ، وكان جندیسالفى ويوحنا هذا ن يعملا ن مشتركين فى الغالب ، فيملى يوحنا ترجمة النص العربى بالأسبانية الدارجة ، فى حين يقوم جنديسالفى بنقلها من الأسبانية الى اللاتينية (١) .

وقد بلغ الاهتمام بنقل علوم المسلمين وآدابهم فى أسبانيا المسيحية ذروته فى عهد الملك ألفونسو العاشر ملك قشتالة (١٢٥٢ - ١٢٨٤) الملقب بالحكيم أو العالم El Sabio ، الذى التفت حوله طائفة من علماء المسلمين والمسيحيين واليهود المتخصصين فى شتى العلوم (٢) . ومن

---

(١) جنثالث بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٥٣٧ - ٥٣٨ .
Gabrieli, op.cit., PP.854-855.

(٢) جنثالث بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٥٧٣ .

المعروف عنه أنه كان على صلات وثيقة بعلماء الأندلس ، ومنهم تلقى الكثير من الثقافة الواسعة ، وتأثر بمناهجهم فى التفكير ، وكان يحب جيرانه المسلمين ، ويقدر علمهم وثقافتهم الرفيعة ، مما جلب عليه السخط فى مملكته (١) . وقد بلغ اعجاب ألفونسو بعلوم المسلمين حدا جعل المؤرخين يعتبرونه أكبر داعية للحضارة الاسلامية فى أسبانيا المسيحية (٢) . ومما يذكر انه انشأ مدرسة للترجمة فى مدينة مرسية جمع فيها نخبة من العلماء عهد اليهم بترجمة الكتب العربية فى مختلف العلوم والفنون الى اللغة الأسبانية ، وقد جعل على رأس هذه المدرسة العالم العربى المسلم محمد بن أحمد بن أبى بكر القرموطى المرسى ، حيث كان تلاميذه من الأسبان يتلقون على يديه علوم المسلمين باللغة العربية ، ومتى تم لهم استيعابها نقلوها الى الأسبانية أو اللاتينية ، فكانت هذه المدرسة بحق مؤسسة للعلم والترجمة ، ذاع صيتها وأقبل عليها طلاب العلم من أنحاء أسبانيا المسيحية وأوربا ، ثم نقلت هذه المدرسة إلى اشبيلية فى السنة الثالثة من اعتلائه العرش وهى سنة ١٢٥٥ ، حيث كان من أساتذتها علماء ومترجمون مسلمون (٣) . وقد تم بفضل ألفونسو الحكيم نقل الكثير من العلوم العربية والأدبية . وفى هذا الصدد عهد الى مجموعة علمائه بمهمة كتابة مؤلف جامع للكتب الفلكية الاسلامية المعروفة لديهم آنذاك ، وقد جمعوا فعلا عشرين كتابا

---

(١) محمد عبد الله عنان : نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، ص ١٠٤

(٢) ترند : تراث الاسلام ، ص ٥٦ .

(٣) ليفى بروفنسال : الحضارة الاندلسية ، ص ٩٦ .

ولخصوها - من بينها كتاب هيئة العالم لابن الهيثم - نشرت فى أوربا بعنوان " حريات المعرفة " Libros del Saber ، وانتشرت انتشارا واسعا بترجمتها اللاتينية . (١)

وينبغى ألا ننسى أن اليهود فى الأندلس قد شاركوا مشاركة فعالة فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وذلك بما ترجموه من كتب عربية كثيرة ، مع ملاحظة أن نشاطهم فى ذلك العصر كان جزءا لا يتجزأ من نشاط المسلمين الحضارى . (٢) وقد أخذ اليهود من موارد الثقافة الاسلامية مباشرة ، ونشطوا فى نشر عدد كبير من المؤلفات العربية بين إخوانهم فى الدين من أهل أسبانيا وجنوبى فرنسا ، وفضلا عن ذلك قاموا بدور الوسيط الحضارى بين المسلمين والمسيحيين الأسبان ، وقد أهلهم لهذا الدور ما عرفوا به من اتقانهم اللغات العربية والقشتالية (الأسبانية) ، وقد برز من بينهم ابراهيم بن عزرا الطليطلى (ت ١١٦٧) ، وابراهام بن داود الطليطلى (ت ١١٨٠) ، وموسى بن ميمون (ت ١٢٠٤) . (٣)

وكيفما كان الأمر ، فبانتهاء القرن الثالث عشر كانت المؤلفات العربية فى العلوم والفلسفة قد وصلت الى أوربا عن طريق أسبانيا ، حيث واصلت عطاءها

---

(١) فؤاد سزكين : المرجع السابق ، ص ٨٥ .
(٢) سعيد عاشور : المدنية الاسلامية واثرها فى الحضارة الاوربية ، ص ٥١ .
(٣) جنثالث بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٤٨٨-٤٨٩ ،
Saunders, op.cit.P.192.

حتى القرن الخامس عشر الميلادى . على أنه اذا كانت حركة الترجمة من العربية الى اللاتينية والأسبانية تمثل حجر الزاوية فى تعريف الأوربيين الغربيين بكنوز العلم والمعرفة عند المسلمين ، فالواقع أنه إلى جانب ذلك ثمة مسالك أخرى ثانوية يغلب عليها طابع العلاقات الشخصية ، اسهمت فى نقل تأثيرات الحضارة الاسلامية من أسبانيا الى مختلف أنحاء أوربا ، وتبدو تلك التأثيرات واضحة فى التنقلات الفردية والجماعية ، والمبادلات التجارية ، والرحلات العلمية . من ذلك أن كثيرا من المسلمين خلال حركة الاسترداد عملوا فى بلاط ملوك أسبانيا المسيحية كمربين لأطفالهم أو كأطباء أو كتبة (١) . وكان الحج لزيارة القديس يعقوب (سانتيا جودى كومبوستيللا) (٢) فى الشمال الغربى لأسبانيا فرصة سانحة لالتقاء العديد من المسيحيين الأوربيين بالتجار المسلمين والمسيحيين الوافدين من شمال الأندلس ، وفى هذا الصدد لعب تجار ليون وجنوة والبندقية ونورمبرج دور الوسيط الحضارى بين المدن الأوربية والمدن الأندلسية (٣) .

كذلك ساهم سيل الفرسان والجند الذين تدفقوا على أسبانيا من أرجاء أوربا لمؤازرة حركة الاسترداد فى نقل مظاهر الحضارة الاسلامية الى أوربا . ذلك أن الممالك المسيحية فى أسبانيا دأبت على الاستعانة بحلفاء أوربيين من

(١) هونكه: المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٢) هو احد الحواريين الاثنى عشر ومن اخص الناس بالسيد المسيح عليه السلام حتى اعتبره المسيحيون اخاه للزومه اياه . ويزعم المسيحيون ان هذا القديس كان اسقفا لبيت المقدس وانه ساح فى الاراضى داعيا لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ومات ودفن فيها . وقد اقاموا فوق ضريحه كنيسه عظيمه يحج اليها المسيحيون من جميع انحاء العالم ، ولا تزال مدينه القديس يعقوب (شنت ياقوب) هى القاعده الدينيه لاسبانيا .
انظر: احمد مختار العبادى: فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٣٢ .

(٣) هونكه: المرجع السابق ، ص ٥٣٢ .

خارج شبه جزيرة أيبريا ، وخاصة من فرنسا التى وطدت علاقاتها مع تلك الممالك منذ القرن الحادى عشر . ومهما كان ظاهر هذه العلاقات ، فأنها كانت فى النهاية تتبلور فى الهدف الصليبى لانهاء الوجود الاسلامى . ومما يذكر على سبيل المثال ، ما حدث عند الحصار الذى فرضه الملك ألفونسو السادس على طليطلة سنة ١٠٨٥ ، فقد اشترك فى حصار المدينة والاستيلاء عليها فرسان ألمان وايطاليون وفرنسيون. ولا شك أن أولئك الصليبيين الوافدين على أسبانيا قد وقفوا خلال وجودهم فى أسبانيا على جوانب الحضارة الاسلامية واحتكوا بها ، فنقلوها معهم الى بلادهم بعد انتهاء مهامهم .

أضف الى ذلك أن بعض الحملات الصليبية الآتية من الممالك المسيحية الواقعة فى شمال جبال البرينيه لمساندة حركة الاسترداد فى أسبانيا ، قد ساهمت بصورة غير مباشرة فى نقل التأثير الحضارى الاسلامى الى تلك الممالك ، وبوجه خاص فرنسا . ومما يدل على ذلك ، أن الحملة الصليبية الفرنسية التى استهدفت مدينة بربشترو الاسلامية فى مقاطعة أراجون عام ١٠٦٤ (٤٥٦ هـ) ، كانت تضم فى صفوفها فرسانا عديدين بقيادة أمير نورماندى ، فاجأت المدينة وأمعنت القتل فى أهلها ، ثم قفلت راجعة عبر جبال البرينيه ، ومعها أعدادا هائلة من الأسرى المسلمين ، وليس ثمة ما يمنع هنا من الظن بأن هؤلاء الأسرى قد عملوا فى المدن التى سيقوا اليها على نشر المعرفة والفنون والأساليب التى كانوا على دراية بها ، وذلك قبل أن يذوبوا فى سكان تلك المدن .(١)

---

(١) بروفنسال : الحضارة العربية فى اسبانيا ، ترجمة د . الطاهر احمد مكى ، ص ١٢٠-١٢١ .

وعلى كل حال ، ظلت أسبانيا قرونا طويلة حلقة اتصال بين الاسلام والمسيحية ، ومن خلالها أخذت الحضارة الاسلامية طريقها الى أرجاء الغرب الأوربى ، والتى لولاها لتأخر ظهور الحضارة الأوربية الحديثة عن موعدها عدة قرون . (١) وبعبارة أخرى ، اذا كانت حضارة أوربا الحديثة قد أخذت سماتها الواضحة منذ القرن السادس عشر أو قبله بقليل ، وهذه ترجع جذورها الى النهضة الأوربية فى القرن الثانى عشر فإن معنى ذلك أن الحضارة الاسلامية عن طريق معابرها الرئيسية الثلاث ، أسبانيا وصقلية وبلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، قد ساهمت مساهمة فعالة بتراثها العلمى وفكرها الانسانى فى عملية تكوين أوربا الحديثة واذا كان بعض الباحثين الأوربيين قد رفض الاعتراف بدور تلك المعابر ، بهدف إرجاع حضارة أوربا إلى الاغريق والزعم أنها أخذتها مباشرة عنهم ، فالواقع أن محاولة طمس دور المسلمين العظيم فى بناء الحضارة الأوربية الحديثة ، أبعد ما يكون عن حقائق التاريخ الضاربة فى أعماق الانسانية .

---

(1) Dicruz, A Survey of World Civilization, pp. 140-142.

مراجع البحث

أولا : المصادر والمراجع العربية

ابن الأثير : (عز الدين أبو الحسن ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)

الكامل فى التاريخ .

١٢ جزء (بيروت ١٩٧٩)

إحسان عباس : عباس

العرب فى صقلية ، دراسة فى التاريخ والأدب .

(القاهرة ١٩٥٩)

أحمد هيكل : (دكتور)

تراثنا الأدبى والأدب الأوربى ، مقالة نشرت فى كتاب التراث العربى دراسات .

(القاهرة ١٩٨١)

الأدفوى : (كمال الدين أبو الفضل جعفر بن على الأدفوى الشافعى ، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)

الطالع السعيد لأسماء نجباء الصعيد . تحقيق سعد محمد حسن ، مراجعة د . طه الحاجرى .

(القاهرة ١٩٦٦)

ارنست بارکر :

الحروب الصليبية ، ترجمة د . السيد الباز العرينى .

(بيروت ١٩٦٧)

أسامة بن منقذ : (أبو المظفر بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر ،
ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) .
كتاب الاعتبار ، نشره وحققه فيليب حتى .
(يونستون ١٩٣٠)

أنجل جنثالث بالنثيا :
تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة د . حسين مؤنس .
(القاهرة ١٩٦٦)

توماس أرنولد ، ألفرد جيوم :
تراث الاسلام ، جزءان ، كتب فصوله : ب . ترند ، ارنست
بيكر ، أ . د . جب ، ألفرد جيوم ، أ . هـ . كريستى ،
توماس أرنولد ، ومارتن بويجز .
(القاهرة ١٩٣٦)

جاك . س . ريسلر :
الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون ، مراجعة د . أحمد
فؤاد الأهوانى .
(القاهرة بدون تاريخ)

ابن جبير : (أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى الأندلسى ،
ت ٦١٤ هـ / ٣١٢١٧) الرحلة .
(بيروت ١٩٦٤)

جمال الدين الشيال : (دكتور)

التاريخ الاسلامى وأثره فى الفكر التاريخى الأوربى فى عصر النهضة .

(بيروت ١٩٦٩)

جوستاف لوبون :

حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر .

(القاهرة ١٩٦٩)

جيمس ويستفال طومسون ، جورج رولى ، فرديناند سكفيل ، وجورج سارتون :

حضارة عصر النهضة ، ترجمة د . عبد الرحمن زكى .

(القاهرة ١٩٦١)

حسين مؤنس : (دكتور)

(١) مكان المسلمين فى التاريخ العام لعلم الجغرافية ، مقالة نشرت فى كتاب دراسات فى الحضارة الاسلامية ، بمناسبة القرن الخامس عشر الهجرى ، المجلد الأول .

(القاهرة ١٩٨٥)

(٢) الرحلة الأندلسية .

(القاهرة ١٩٦٣)

ابن حوقل : (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى ، ت بعد ٣٦٧هـ / ٩٧٧ م) صورة الارض ، (بيروت: ١٩٧٩)

رامون منندث بيـــدال :

أسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والاسلام ، مجلـــــة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، العدد الأول ، السنة الأولـى .

(مدريـــد ١٩٥٣)

زيغريد هونكـــــة :

شمس العرب تسطع على الغرب : أثر الحضارة العربية فـى أوربا ، ترجمة فاروق بيضون ، كمال دسوقى ، راجعـــــة مارون عيسى الخورى .

(بيروت ١٩٧٩)

ســتانلى لين بــول :

العرب فى أسبانيا ، ترجمة على الجــارم .

(القاهرة ١٩٦٤)

سعيد عبد الفتاح عاشــور : (دكتور)

(١) الحركة الصليبيــة ، جزءان .

(القاهرة ١٩٧٨)

(٢) أوربا العصور الوسطى ، جزءان .

(القاهرة ١٩٨١)

(٣) بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوســطى .

(بيروت ١٩٧٥)

(٤) المدينة الاسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية .

(القاهرة ١٩٦٣)

(٥) أضواء جديدة على الحروب الصليبية .

(القاهرة ١٩٦٤)

فؤاد سزكين :

محاضرات فى تاريخ العلوم .

(الرياض ١٩٧٩)

قدرى حافظ طوقان :

العلوم عند العرب .

(القاهرة ١٩٥٦)

لطفى عبد البديع : (دكتور)

الاسلام فى أسبانيا .

(القاهرة ١٩٦٩)

لويجى رينالدى : (دكتور)

المدنية العربية فى الغرب ، محاضرات ألقاها فى نادى خريجى المدارس الايطالية ، ونقلها من الايطالية الى العربية طه فوزى ، مجلة المقتطف ، المجلد ٥٩ ، ديسمبر ١٩٢١ ، والمجلد ٦٠ ، يناير ١٩٢٢ .

ليفـى بروفنـــسال :

(١) الحضـارة الأندلســـية .

(بيروت ١٩٧٥)

(٢) الحضارة العربية فى الأندلس ، ترجمة د . الطاهـــــر احمد مكـى .

(القاهرة ١٩٨٥)

محمد عبد الله عنـــان :

نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتصـرين .

(القاهرة ١٩٦٦)

محمد كـرد علـــى :

الاســلام والحضـارة العـربية .

الجزء الأول (القاهرة ١٩٣٤)

محمـود محمد الحـويرى : (دكتور)

الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشـــر والثالث عشـر للميلاد .

(القاهرة ١٩٧٩)

مصطفـى الشـكعة : (دكتور)

معالم الحضـارة الاســـلامية .

(القاهرة ١٩٧٥)

المقـــــــرى : (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمســـــانى
ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م) نفح الطيب من غصـــــــن
الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسـان الدين الخطيـــب ،
تحقيق محمد محيى الدين عبد اللطيـف .
الجزء الأول (بيروت ١٩٧٩)

نقـولا زيـادة : (دكتور)
لمحـات من تاريخ العـــــرب .
(بيروت ١٩٦١)

يوســـف هـــل :
الحضـارة العـربية ، ترجمة د . ابراهيم العـدوى .
(القاهرة ١٩٧٩)

يوشـع بـراور :
عالم الصليبيين ، ترجمة وتقديم وتعقيب د . قاسم عبـــده
قاسم ، د . محمد خليفـة حســن .
(القاهرة ١٩٨١)

ثانيـــا : المراجـع الأجنبيـــــة

Curtis (Edmond), Roger of Sicily and the Normans. London, 1912.

D'cruz (Edward), A Survey of World Civilization. India, 1970.

Gabrieli (F.), The Transmission of Learning and Literary Influences to Western Europe, in the Camb. Hist. of Islam, Vol. 2B, ed. by Holt (P.M.), Lambton (A.K.S.), Bernard Lewis. Cambridge, 1970.

Gillingham (Hohn), Richard The Linoheart. London, 1978.

Hitti (Philip K.) , History of the Arabs, Tenth edition. London, 1972.

Kantorowiez (E.), Frederick the Second. London, 1931.

Larner (John), Italy and the Age of Dante and Peterarch, 1216 - 1380. London, 1983.

Prestage (Edgar), The Portuguse Pioneers. London, 1933.

Saunders (J.J.), A history of Medieval Islam. London., 1965.

Smail (R.C.), The Crusaders in Syria and the Holy Land. London, 1973.